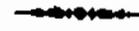


مسيو بتلان

بقلم الأديب عبد الغنى الأنباري



مسيو بتلان بطل مسرحية فرنسية ظهرت في القرن الخامس عشر ، وقد لاقى نجاحاً متقطعاً نظير ، ولا زالت تلاقى إقبالاً عند عميلها . أما مؤلفها فقد تضاربت الآراء في معرفته . ومسيو بتلان بطل المسرحية محام ولكنه يمثل الشخص الخبيث الماكر الذي يوجه ذكاه ونشاطه لخدمة مآربه الشخصية . ويطلق الفرنسيون اسم بتلان على كل إنسان يتصف بهذه الصفة . والمرض الذي أهدمه للمسرحية هو من اللغة الإنجليزية

نحن الآن في الفصل الأول من المسرحية حيث نرى مسيو بتلان بطلها وقد التزم داره ، آتسه إنسان مفروغ يظهر على سباه الخبث والحماقة ، وهو كسول في نفس الوقت ، لا يريد أن يكلف نفسه مشقة الخروج للبحث عن مورد أو دعوى يتوكل فيها . وقد أزجرت حالته هذه زوجته « جيميت » - ولعلمها أخبت منه - فألمها ما يبدو من زوجها من التراخي والكسل إذ لا يبدو عليه أى اهتمام بحلول المييد وما يتطلب من ملابس جديدة . فتأخذ في انتهاره وإبذائه بقارص الكلم وتوجه إليه لوما وتقريماً قائلة له : ما الفائدة في أن يكون محامياً عظيماً كما يدعى ، بينما هو يهجز عن تدبير المال الكافي لشراء ملابس المييد ، وكأنها بهذا الكلام أى بوصفها إياه ... محامياً عظيماً - قد مست فيسه الور الحساس من نفسه المفرورة . فهتف بها أنه نعم لا زال ذلك القانوني والهامي ذو الاسم اللامع في عالم القضاء ، وسيربها إلى أى حد سيوفق في يومه هذا .

ثم يأخذ نفسه بالحزم والشدة فيلبس ملابسه ويخرج . إلى أين ؟ لا بدري . وأخذ يقدر فكره طوال الطريق . من أين يدبر المال اللازم وأين للسبيل إلى ذلك ؟ أين يجد ذلك الخلق الأبله الذي يرضى أن يوكاه في قضيتيه ، وهو ذلك الهامى الذي عرف بالخسة وضمة النفس فضلاً عن أنه محام فاضل .

وما زال بأفكاره هذه حتى بلغ السوق . وانتهى بتفكيره إلى أن رغبة زوجته تنحصر في الحصول على الملابس فقط . ولا يهمها إن كان محامياً عظيماً أو فاشلاً ، كما لا يهمها مطلقاً المصدر الذي يحصل به على القماش المطلوب .

إذن فالمسألة هيئة إلى حد بعيد . هداه تفكيره إلى رأى عزم على تنفيذه ، إذ كان قد وصل إلى حانوت بائع اللقشة اسمه « جيوم جوكوم » . أما جيوم هذا فقد عرف عنه أنه رجل حريص شديد البخل . فاقرب منه بتلان وقد اقتر ثمره من ابتسامته عريضة ملؤها الثقة بمحبته ، فلم على جيوم وحياء وأخذ يصاحفه بشدة وإخلاص ، متظاهراً بأنه صديق مخلص له عزيز عليه . فأخذ جيوم بهذه المفاجأة ودهش إذ أن هذا السيد يدعى أنه يعرفه ويدعى أكثر من هذا أنه صديق عزيز عليه ، فيبمد جيوم قليلاً من حذره الذي عوده إياه بخضه الشديد وسوء ظنه بالناس ، وتتفتح نفسه رويداً لهذا الإخلاص العميق الذي يبديه بتلان . ولا يزال به بتلان هاتفاً هاشاً باشاً حتى يضطر جيوم إلى دعونه إلى الجلوس ، فيتحدث بتلان عن الصحة والزواج والأحوال ثم ينتقل إلى الحديث عن العائلة وعن الرحوم الوالد العزيز الذي كان صديقاً مخلصاً له ، ثم أخذ يتحدث عن علاقته بالراحل الكريم وكيف أن جيوم كان لا يزال صغيراً عند ما كان هو يزورهم ، ثم يزيد مؤكداً كيف أنه - أى جيوم - يشبه أباه في حركاته وفي ملامحه وفي رقة أخلاقه أيضاً . وما يزال كذلك حتى يتحول الحديث فجأة إلى القماش قائلاً : ياله من قماش بديع وجميل ! ولكنه في هذا لا يظهر أنه جاد في حديثه عن القماش فينتقل ثانية سائلاً من مائلة جيوم ويقول : إن زوجتي يسرها جداً أن تزورنا بل أن تتفضل بالقضاء معنا . ولكن جيوم وقد تحركت فيه نفسية التاجر فيعود بالحديث عن القماش مطنباً ومداحاً لهذا القماش الثمين فيؤيده بتلان في ذلك وإن كان قد أظهر عدم المبالاة ، ومع هذا فإنه يقول إنه سيرى نفسه مضطراً أن ينزل عن عشرين جنبها ثمناً لما سيشتريه اليوم من صديقه العزيز . ثم يعود للحديث عن الوليمة التي ستقيمها زوجته لصديقه جيوم ، وفي هذه الأثناء يمد يده إلى قطعة أخرى ويختبرها ويقول : كيف أن القماش الفاخر يجذب الزبائن اجتهذاً ، وكيف يستولى على القود فيسلبها من

ويتوسل اليه أن يعطيه ثمن القماش ، ولكن جيميت تصيح به وتدفعه بعيدا عن المريض . فيعرف جيوم أخيرا أنه وقع ضحية محتالين ، فيخرج مسرعا الى دكانه ليتأكد من طول القماش ، فيقيسه فيجد أنه حقيقة قد قطع منه بضعة أمتار ، فيعود مسرعا مرة أخرى الى دار مسيو بتلان ويدخل مؤكدا صدق مطلبه وملحها أن يأخذ ثمن القماش أو يستعيده . ولكن بتلان لا يجيبه إلا بالتهارجات ، وعندما تعود جيميت الى انتهاره وتهامه بانقلاب راحة المريض ، فيخرج جيوم متوقفا أنه سيشكروم الى القضاء . وفي الفصل الثالث نرى التاجر جيوم وقد خرج متوقفا ، ويتفق أن يلاق الراعي توما . أما توما هذا فإنه يشتغل راعيا لأغنام المسيو جيوم ، ويصرف توما بالأبلة ولكنه خبيث أيضا وما كره استئجار أمانة سيده لأغنامه فأخذ يبيع بعضها ويتصرف بشهها فشكاه جيوم الى القضاء ، ونرى توما الراعي قادما الى دار المحامي بتلان لكي يوكاه عنه .

وهنا يظهر خبث المحامي بتلان على أروع صورة فيتفق مع الراعي توما أن يدعى أنه أحرص ولا يجيب على أسئلة القاضي إلا : « آآآ » أي مثل أصوات الغنم

والنظر الآن في المحكمة حيث الفصل الأخير وقد ظهر القاضي والتاجر جيوم . وعندما ينادى المحالج الراعي توما فيتقدم هذا الى القاضي فيسأله عن اسمه فلا يجيب إلا (آآآ) فيتملك جيوم الغيظ والغضب وينكر أن يكون توما الراعي أحرص . وعندما يطلب القاضي عناداة وكيله زعمائيه فينادى المحالج (المحامي بتلان) فيستغرب جيوم أن يكون بتلان حاضرا إذ قد تركه منذ وقت ليس بالبعيد مريضا أو متوارضا على الأصح . ولكنه بفاجأ بل يكاد يصعق عند ما يرى الباب يفتح ويدخل مسيو بتلان ، فيشور ويترك مسألة الغنم والراعي توما ويشكروا بتلان الى القاضي منهما إياه بالسرقة فيدهش القاضي ؛ ولكن جيوم يقول إن المحامي بتلان محتال ومخادع وما كره كان قد أخذ منه قاشا عند الصباح وعند ما جاء يأخذ ثمنه في البيت أنكره عليه وكان يدعى المرض بل كان مستلقيا على الفراش وأنه قد اتفق مع الراعي توما على انتهاك حرمة ماله . ثم يعود فيشكو الراعي توما الى القاضي وكيف أنه سرق أغنامه وتصرف بها كما يشاء ؛ ثم ينتقل

أصحابها راضين بذلك . ولكنه يقول بالأسف لقد نسبت محنظة النقود في البيت . ولكن هذا لا يهم وإن كان الخبير في ذلك ، لأن جيوم سيستم أثمان القماش عند حضوره للغداء ، ويتفقان على القماش . وعندها يساود جيوم حذره وحرصه على النقود فيطلب أن يأتي هو بالقماش معه عندما يحضر للغداء ، ولكن صديقه الكريم بتلان لا يرضى بهذا العناء إذ كيف يكلف صديقه العزيز جدا بحمل ما يخصه ؟ وما يزال به حتى يرضخ جيوم للأسر ممنيا نفسه بغداء دسم مع استلام النقود .

ونرى بتلان في الفصل الثاني وقد عاد الى بيته متأبطا القماش الفاخر فتفرح بذلك زوجته فيحدثها عن القصة وعن كيفية الحصول على القماش ، ثم يطلب منها أن تتكفل بالباقي فقد جاء دورها ، إذ أن جيوم سيحضر مطالبا بثمان القماش عند الغداء . وهنا يظهر خبث الزوجة فاذا هي أروع من زوجها ركاتهما شن وطبقة ، فيتفقان على أن يتظاهرا بتلان بالمرض وتدعى هي أنه سريض منذ أيام ولم يخرج أبدا ، ويبدأ بتنفيذ الخطة فيضام بتلان ملابسه ويستلق على السرير . وعندها بطرق الباب فيملنان أنه جيوم بائع الأقمشة والضيف الكريم ، فتذهب جيميت الى باب الدار وقد أخذت تسير على أطراف أصابعها متصنعة الاهتمام فتفتح الباب وتبدأ مهمتها فترحب بجيوم على أنه الطبيب وتدعوه للدخول وهي تشغله بالحديث عن المريض وكيف أنه يتألم وكيف أنه لا يدهها تذوق طعم الراحة .

فيدهش جيوم قائلا إن بتلان كان معه قبيل نصف ساعة ، وأنه اشترى منه قاشا وأنه مدعو للغداء ، فصرخ فيه جيميت : أي قاش وأي غداء ؟ هو إذن هو ليس بالطبيب المنتظر وإنما شخص غريب جاء يدعى أن زوجها المسكين قد خرج واشترى وعاد . ما هذا الهراء ؟ ولكن جيوم يؤكد لها أن مسيو بتلان كان في دكانه قبل مدة وجيزة ، وأنه جاء يريد ثمن القماش ، فصاحت به أن يمتنع عن هذا الهديان وعن هذا الأنهام وليلزم السميت لكي لا يلقى راحة المريض ، ثم يسلان الى غرفة بتلان فاذا هو يتقلب على فراشه متألما . ويحدث جيوم على اعتبار أنه الطبيب ويشكو اليه حاله وما يصيبه من الآلام ، فيتوسل اليه جيوم بأن يتذكره